مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 16 العدد: 01 السنة 2024 ص 77 - 97

تاريخ الإرسال: 2022/01/23 تاريخ القبول: 2023/11/15
تاريخ النشر: 2024/05/16

البعد العسكري في مذكرات القادة، الضباط والعسكريين الجزائريين خلال الثورة التحريرية المعارك أُنموذجًا.

The military dimension in the leaders' memoirs, the Algerian military officers during the liberation revolution, fights as an example.

سنوسي فيصل [1]، الدكتور علي العبيدي[2]
جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، fayssal.snouci@univ-tlemcen.dz
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، ali.alobaidi@univ-tlemcen.dz [2]

الملخص:

تهدف هذه الدراسة لكشف محتوى مذكرات المجاهدين، خاصة وأنّه غلب عليها الطابع العسكري مع معرفة مدى موضوعية وقيمة تلك المحتويات في كتابة تاريخ الثورة، وكان من أهم النتائج المحصل عليها غنى هذه المذكرات بالمعلومات والحقائق التاريخية خاصة التفاصيل العسكرية، مما يمكن من كتابة التاريخ العسكري للجزائر في مناطق وولايات عديدة، كما أنه لا يمكن الأخذ بمجملها وكل ما ورد فيها باعتبارها كتابة شخصية ذاتية وإنما تحتاج إلى منهجية وطريقة للتعامل معها تبقى من اختصاص واجتهاد الباحثين والمُختصين.

الكلمات المفتاحية: المذكرات الشخصية؛ العسكريين؛ البعد العسكري؛ المعارك؛ الثورة التحريرية.

Abstract:

This study aims to reveal the contents of the Mujahedeen notes and what they contained, especially that it was dominated by the military character and to know the extent of objectivity and the value of those contents in writing the history of the revolution. One of the most important results obtained was the richness of these notes with historical information and facts, especially military details, which enables the history of regions and states to be written in the most extensive and accurate manner, and it is not possible to take all of them and all that was contained in them, but it needs a methodology and a way to deal with it remains from Competence and diligence of the researcher and the specialist.

Keywords: (Personal notes, military, military dimension, battles, editorial revolution.)

المؤلف المرسل: سنوسي فيصل، الإيميل: SNOUCIFAIS@GMAIL.COM

1. مقدمة:

يُعد كل من الأرشيف من جهة والشهادات الحية و المذكرات والكتابات الشخصية من جهة أخرى أهم مصادر كتابة تاريخ الجزائر المعاصر عامة وتاريخ الثورة خاصة، فيقل الأول ويتوفر الثاني حيث نجد العديد من المذكرات الشخصية لقادة عسكريين وسياسيين، كتبوا مذكراتهم من خلال ما عايشوه من أحداث ومستجدات تاريخية كونهم كانوا جزءً لا يتجزأ منها، ويعد القادة العسكريين على اختلاف رتبهم ومراكز نشاطهم أكثر الحاضرين في صنع الحدث ومساهمةً في نسج خيوطه إذ شكلت المعارك، الغارات والمواجهات المباشرة أبرز أعمالهم وإنجازاتهم عبر كامل ربوع الجزائر فدونوا ووصفوا ذلك في كتاباتهم، ولعل أبرز سمات تلك الكتابات احتواؤها على جوانب وأبعاد عسكرية من مصطلحات ومفاهيم، معارك غارات وحروب، أسلحة عسكرية ... الخ، وسنلقي الضوء في هذا المقال المتواضع على كتابات ومؤلفات الرجال العسكريين جنودًا، ضباطًا، نقباء وعقداء ... في منطقة في الجزائر عامة والتركيز على الشرق الجزائري (الشمال القسنطيني والأوراس) خاصة وذلك خلال الفترة (1954– 1962م).

يُعد تاريخ الجزائر المعاصر عامّة وتاريخ الثورة خاصة من الفترات التي شهدت تدوينًا كبيرًا للكتابات الشخصية حول أحداثهما، حيث لا يزال على قيد الحياة العديد من الفاعلين في تاريخ الثورة ووقائعها ذلك أن معظمهم عاش أحداثها وشهد معاركها فقام بكتابة ذلك، وقد شهدت ظاهرة كتابة المذكرات الشخصية نشاطًا كبيرًا في الآونة الأخيرة، حيث تعود بداياتها لمذكرات النخب التركية التي عاصرت أواخر الوجود العثماني وبداية الاحتلال ومن أبرز تلك الوجوه أولئك حمدان بن عثمان خوجة ومحمد الشريف الزّهار، أما العنصر الجزائري فقد تزامنت مذكراته مع اشتداد المقاومة الشعبية حيث كتب عدد من قادتها سيرهم على غرار الأمير عبد القادر، ومع مرور الوقت أخذت الظاهرة تزداد شيئًا فشيئًا خاصة مع ظهور النضال السياسي، حيث لجأ أغلب المثقفين وزعماء الحركة الوطنية لكتابة مسارهم الشخصي مثل: مصالي الحاج، فرحات عباس، حسين آيت أحمد، بن يوسف بن خدة وغيرهم.

جاء القليل من هذه الإصدارات خلال فترة الاستعمار أما معظمها فكان بعد استعادة السيادة سنة 1962م، وقد تأثرت العملية بالرقابة الاستعمارية المفروضة عليها في إطار السياسية الاستعمارية الثقافية والعلمية القائمة على محاربة التعليم والتاريخ الوطنيين، وبعد الاستقلال أفرج العديد من الرجال على اختلاف تكوينهم وانتماءاتهم وحتى النساء عن مذكراتهم الشخصية، وتنوعت بين السياسية، العسكرية والثقافية، لكن الملفت للانتباه هو أن كان أكثر من دوّن هذا النوع من الكتابات هم من شريحة العسكريين من فاعلين كقادة الولايات التاريخية والمناطق والنواحي والعقداء إلى الضباط، الرواد والجنود في مختلف أماكن نشاطهم، كانت الميزة الرئيسة في هذا النوع من الكتابة تأثر أصحابها بجملة من العوامل كالمستوى التعليمي، التكوين العلمي، السياسي، وكذا المنطلقات الفكرية والبيئة الاجتماعية، أما على الصعيد الجغرافي فقد كانت المنطقة الشرقية (الأوراس، الشمال القسنطيني، القاعدة الشرقية) حاضرة بقوة من خلال تدوين عدد كبير من قادتها لتاريخهم الشخصي في منذ اندلاع الثورة إلى غاية الإستقلال.

وبناءً على ما سبق فقد تمخضت حول هذه الدراسة عدد من الإشكاليات منها: ما هي الأبعاد العسكرية في مذكرات المجاهدين؟، ما هي أهم المميزات والخصائص في كتابات ومذكرات القادة العسكريين؟، ما مدى صحة وموضوعية شهاداتهم، وفيما تكمن الأهمية العسكرية في كتابة تاريخ الثورة التحريرية؟ وفي هذه الدراسة سنسلط الضوء حول تلك المذكرات من خلال دراسة لمضمونها وما جاءت به مركزيين أكثر على الجانب العسكري ومحاوره كالمعارك، الحروب، عمليات التسليح، متبعين في ذلك المنهج الوصفي التحليلي لتلك المذكرات.

2. المذكرات الشخصية وأهميتها العسكرية

1.2 قراءة في مذكرات الجزائريين خلال الثورة التحريرية:

كما أشرنا سابقًا أن مصادر كتابة تاريخ الثورة ثلاث: الأرشيف سواءً كان ذلك الموجود داخل الجزائر أو الموجود في فرنسا في المراكز العسكرية والتاريخية أو أرشيف ما وراء البحار بمدينة مارسيليا. ونظرًا لصعوبة الحصول على هذه الوثائق يضطر الباحث الجزائري من طالب متخصص أو أكاديمي إلى البحث عن طرق بديلة لعملية التأريخ، وعندها يجب عليه الاضطلاع إمّا على الشهادات الحية والروايات الشفوية أو الشهادات المكتوبة والمتمثلة أساسا في المذكرات والكتابات الشخصية أو السير الذاتية، حيث أصبحت مادة مصدرية هامّة للدارسين خاصة لوفرتها بأعداد كبيرة واحتواؤها على معلومات وتفاصيل مهمة، وتكون أكثر مصداقية عندما يتم تدوينها فور وقوع الحدث رغم أن القليل من المذكرات كُتبت في هذه الشاكلة نظرًا لانشغال السياسيين والعسكريين بالثورة التحريرية ومحاربة الاستعمار، وأحيانًا لعدم اهتمامهم بموضوع الكتابة، إضافة إلى أولوية الطابع السري للثورة على الكتابة.

أما عالميًا فقد كان للمذكرات صدى عالمي كبير، ففي الساحة العلمية هناك العديد من الشخصيات والزعامات النضالية، الرؤساء، الوزراء، والمستشارين دونوا سيرهم وحياتهم، حيث أن أغلب رؤساء وملوك الدول الغربية تركوا سيرًا تروي تاريخهم، وقد استعانوا في كتابتها بالعديد من المختصين والمساعدين، وبالعودة

للحديث أكثر عن تاريخ المذكرات الشخصية في الجزائر نجد أنه خلال فترة الاستعمار عمومًا والثورة خصوصًا لم تكن مقتصرة على الجزائريين فحسب بل حتى الفرنسيين والمعمرين الأجانب ألفوا في هذا القبيل. والجيد والمفيد في المذكرات الشخصية أنها تمكن من دراسة جميع مظاهر الحياة فالشهادة الواحدة تتطرق لجوانب سياسية، اجتماعية، إدارية، عسكرية اقتصادية وغيرها وهي تعكس الحال الاجتماعي للسكان خلال تلك الفترة.

وقد اختلفت الآراء في تعريفها غير أن معظمها يجمع على أنها في المُجمل عبارة عن شهادات، مواقف، تبريرات، ردود أفعال، وأحيانًا رحلات وسير ذاتية ...، وهي تفوق الكتب التاريخية أهمية ومصداقية لقرب أصحابها من الأحداث، فكتابتها تصنف على أنها شهادة ثانية تتضاف إلى الشهادة الأولى والمتمثلة في الذود عن الوطن والتضحية في سبيله، كما تعد من باب الجهاد وإعلاء كلمة الحق خاصة لكون هؤلاء على دراية جيدة بالأحداث من خلال متابعتها ومشاهدة كافة أطوارها من قلب الحدث، لذلك يمكن اعتبار كتابة المذكرات خدمة أخرى للوطن من أجل أن تكون هذه المُؤلفات في خدمة الأجيال من مختصين ومهتمين ولكل من يريد تقصي الحقائق التاريخية.

كتابة المذكرات تعتمد بالدرجة الأولى على الذاكرة الشخصية للمناضل فيعتمد أثناءها على سرد الأحداث والوقائع، هذا بالإضافة إلى استناده إلى مجموعة من الوثائق والمصادر الأخرى التي تدعم موقفه ورأيه في قضية معينة حيث نجد العديد من المذكرات تحتوي على وثائق أرشيفية حصل عليها المجاهدون أثناء العمل المسلح من مختلف مراكز العدو الفرنسي كالثكنات، الإدارات ومراكز الشرطة والتحقيق وغيرها، وقد أضافت عليها الكثير من الموضوعية، كما نجد العديد من الفاعلين قد كتبوا مذكراتهم باللّغة الفرنسية ليتم فيما بعد ترجمتها إلى اللغة العربية.

كمّا تعد المذكرات من الوثائق الرّسمية المنشورة وقد صدرت كثيرًا بعد فترة الثمانينات أي خلال فترة حكم الرئيس الشاذلي بن جديد ، ونجد هنا أنّ هناك من كتب مذكراته بنفسه وآخرين تكلف بكتابة مذكراتهم وشهاداتهم متخصصون وباحثون

خاصة لتفادي ركاكة اللغة والأسلوب حتى تكون أكثر علمية وأكاديمية، وفي هذا الصدد يجب استغلال فرصة اللّقاءات مع المجاهدين والاستماع لشهاداتهم من خلال تسجيلها وإعادة تدوينها حفاظًا على الأحداث، خاصة وأن العمر يتقدم كثيراً بمجاهدينا وذلك لسد الفجوة التي تتركها غياب الوثيقة الأرشيفية وصعوبة الوصول إليها كما أوردنا سابقًا.

ومما يجب إثارته في سياق الحديث عن المذكرات الشخصية يجب الوقوف عندها أن المذكرات تبقى مادة علمية مصدرية تصلح لإعداد العديد من الدراسات والأبحاث التاريخية، غير أنّها تبقى تحتاج إلى نظرة تمحيصية ثاقبة من قبل مستخدميها من خلال القراءة الجيدة والمركزة والتحليلية وإبراز وإثارة كل كبيرة وصغيرة، واستخدام أكثر من مذكرة شخصية في حالة تناقض المواقف والآراء ومن ثمة تغليب أحد الرأيين عبر المزيد من المذكرات للفاعلين أو الأقل فاعلية منهم، خاصة وأن المذكرات من الكتابات الشخصية التي تلتصق بها كثيرًا الجوانب الذاتية والنرجسية وهنا لا بد أن تخضع لمناهج أكثر صرامة وعلمية عبر إجراء دراسة دقيقة لشخصية الكاتب موقعه من الأحداث ودوره فيها.

كما تلعب المسافة الفاصلة بين وقوع الحدث وبين تاريخ الكتابة للمذكرة دورًا كبيرًا، حيث كلّما كانت أكبر كلما كان التحريف أكبر إضافة إلى ضياع التفاصيل ونسيانها، فزمن وقوع الحدث وزمن تسجيله بفترة معقولة حسب كل حدث وطبيعته يسمح بتقييم الماضي وهنا تكون الموضوعية أكثر حضورًا من الذاتية، كما أن المذكرات تحتوي على وثائق ومقتطفات من رسائل ويوميات وأخبار ومناشير، صور وخرائط... غالباً ما تكون كملاحق للمذكرة، أما أكثر المذكرات دقةً وموضوعيةً هي تلك التي يكتبها المختص والأكاديمي الشاهد على الأحداث.

2.2 الأهمية العسكرية في تدوين تاريخ الثورة التحريرية:

ما يُلاحظ في الآونة الأخيرة من قضية كتابة المذكرات الشخصية هو سيطرة العسكريين على كتابة المذكرات التاريخية الجزائرية ففي حيثيات هذه الدراسة وجدنا أن معظم قادة الشمال القسنطيني والأوراس دونوا مذكراتهم فكانت حسب

مشاركتهم في الأحداث، الكثير منهم نقل أحداث الثورة بدقة وتفصيل كلٌ من منطقته ومكان نضاله، نظرًا لمناصبهم الحساسة وهنا نجد نوعين من العسكريين النافذين اللذين كانوا قادةً للمناطق والولايات أمثال علي كافي والشاذلي بن جديد فهؤلاء هم من أشهر مدوني المذكرات شهدوا العديد من الأحداث وقد احتوت مذكراتهم الكثير من التفاصيل فعلي كافي كُتبت في أكثر من 400 صفحة، إضافة إلى الشاذلي الذي ألفها في أكثر من جزء، وكان الجانب العسكري حاضرًا فيها من خلال التحدث عن مجريات المعارك والحروب التي كانوا شهود عيان فيها.

كما لاحظنا في مذكرات العسكريين ككل أنها اعتمدت على المنهج السردي الوصفي من خلال التحدث عن كيفية وقوع الأحداث والاستعداد لها، مجرياتها وأطوارها بالتفصيل، إضافة إلى الحديث عن نتائجها، والمواقف والآراء منها، كما لاحظنا اعتماد بعض المجاهدين على المنهج الإحصائي في الكتابة من خلال تقدير حجم الخسائر البشرية من الشهداء وجرحى والمفقودين بالأعداد والنسب والأسماء أحيانًا إضافة إلى الخسائر والغنائم المادية كالأسلحة المستعملة في المعارك من الثقيلة و التقليدية، كما أن معظم القادة الذين قمنا بدراسة مذكراتهم سلّطوا الضوء على مناطقهم وحيزهم الجغرافي، حيث لمسنا حضورهم الجغرافي جيداً عبر ذكرهم لكافة المناطق من قرى، بلديات ومدن إضافة إلى المظاهر التضاريسية التي كانت شاهدة على كفاحهم وتضحياتهم من جبال ووديان ومسالك.

وممّا يعطيها الدقة والموضوعية هو تعرضها لفترات زمنية قصيرة وفي مناطق محددة مما أكسبها صيغة الإطناب والتفصيل الدقيق للأحداث، حيث أن التأريخ الثوري لولايات مثل عنابة، ميلة وجيجل وسكيكدة ينطلق بالاعتماد على كتابات مجاهديها الشخصية لما تحتويه من معلومات ومعارف تاريخية لا توجد في غيرها من المصادر التاريخية، كما أنها استعانت بالشهادات الأخرى لتدعيم وتبرير مواقفها فالكثير من المجاهدين العسكريين أصحاب المذكرات دعموا موقفهم بآراء زملائهم في الجهاد مثل: مذكرات عثمان سعدي، مذكرات سالم جيليانو وغيرهم، كما

كان أسلوبها سلسًا بعيدًا عن التكلف من خلال اختيار الألفاظ والعبارات التي تتناسب مع الوقائع مثل: مذكرات المجاهد الحاج عي بن علي.

كما أن مختلف فهارس المذكرات كُتبت في شاكلة عناوين ولم يتم تنظيمها زمنيًا أو ربطها بالأحداث، وقد مكنتنا النماذج المختارة من معرفة القادة الفاعلين في الشرق الجزائري وأماكن ومقرات مشاركتهم في الأحداث، كما بينت لنا حسن تصرفهم العسكري وخبرتهم الميدانية في المجال حيث كان أغلبهم يجيد استخدام الأسلحة والتعامل معها حتى الثقيلة منها هذا من جهة، ومن جهة أخرى كشفت المذكرات حسن تعامل المجاهدين مع الخطوط المكهربة في الحدود التونسية والحنكة القتالية أثناء المواجهة المباشرة مع قوات العدو التي كانت في غالب الأحيان تفوقهم عدةً وعتادًا، كما تعد ملاذًا لاستخلاص البطولات والتضحيات منها حيث كان مجاهدونا البواسل لا يخشون الشهادة رغم تعرضهم للإصابات مثلما ذكر ذلك المجاهد الجودي لخضر.

كما احتوت النماذج المنتقاة من مذكرات العسكريين على العديد من الملاحق مثل الصور والخرائط مثل الخريطة التي كالخريطة التي ألحقها عثمان سعدي بمذكراته حيث تحتوي على معلومات ومناطق مهمة من الأوراس ساعدت على معرفة المنطقة جغرافيًا وهو ما عزز من أهميتها، كما احتوت على الصراعات والنزاعات التي كانت داخل صفوف قيادات جيش التحرير وتبقى المصدر الأول لها لمن أراد أن يفصل في تلك الروايات المتضاربة حولها.

وعليه يمكن القول أن هذه المذكرات تبقى ذات قيمة كبيرة أورد فيها أصحابها أراء مواقف عصرهم، ونقلت المعارك كما كانت ستظل المصدر الأول والرئيسي لكتابة مواضيع الثورة فقد أرخت للثورة في الولايتين الأولى والثانية إضافةً للقاعدة الشرقية والملاحظ فيها أيضا أنها لم تتعرض للذاتية فأغلبها وصف الأحداث (المعارك والحروب) التي كان ينتصر في أغلبها المجاهدون ويُهزَم في الأخرى والدليل على ذلك هو ذكر الشهداء والقتلى في المجاهدين وأخطائهم وهفواتهم،

مع وجود بعض النزعة الجهوية في البعض منها مثل ما ذكرته عائشة ليتيم في قضية هجمات الشمال القسنطيني.

3. البعد العسكري في مذكرات مجاهدي ثورة التحرير:

قمنا في هذا المبحث باختيار مجموعة من المعارك كنماذج في الشرق الجزائري لم يكن اختيارنا اعتباطيًا أو مقصودًا وإنّما ركزنا على المعارك الهامة كمعارك الفاتح نوفمبر 1954 في منطقة لأوراس والشمال القسنطيني، وأوردنا كذلك هجومات الشمال القسنطيني وذلك برواية من عايشها وشارك فيها من قلب الحدث، كما اخترنا معركة الجرف لما لها من أهمية في تاريخ الثورة، ناهيك عن بعض المعارك والاشتباكات بين المجاهدين وقوات العدو في مناطق متفرقة من القطر الوطني في معارك كان يحالف النصر فيها المجاهدين ومعارك أخرى ترجح كفة العدو .

1.3 المعارك الكبرى: معارك هجومات الشّمال القسنطيني 20 أوت 1955م:

انطلقت الهجومات الأولى حسب المجاهدة عائشة ليتيم[1] من المناضلين والمجاهدين والمواطنين المتحمسين كما خُطط لها، استهدفت مراكز العدّو في منتصف اللّيل، حيث أضرموا النيران في مخازن المستوطنين المليئة بالحبوب، ثم الهجوم على مراكز الشرطة والدرك و القارد موبيل (Garde mobile). وقد شن الهجوم الثوار المجاهدون الأوائل من أبناء المنطقة ومن أفراد العائلة الواحدة والقرى المجاورة ذكرت المجاهدة منهم: عاشور الجرو، الطاهر بريك، مختار بورغيدة ومحمد ليتيم ... وغيرهم وقد سقط معظمهم في ميدان الشرف[2]، أما في مناطق أخرى فقد بدأت العمليات المقررة ليلة أول نوفمبر بسياسة مغايرة من خلال تخريب المزارع التابعة للمعمرين، قطع بعض الطّرقات، أعمدة الهاتف إعدام عناصر من الإدارة الفرنسية (شرطة، حراس غابات (شامبيط) وجندرمة) وغلاة المعمرين.

بدأت النواة الأولى تكبر والرّغبة في التطوع تزداد، ممّا جعل القيادة في حيرة، حيث وجدت نفسها في مأزق وعليه كان لا بدّ من الخروج منه ضرورة استقطاب الراغبين في التطوع مع الحفاظ على نظام جيش التحرير الوطني الذي

يتطلب التنظيم المحكم والحزم، كما ظهر في ذات الوقت مشكل الحصول على الأسلحة والتموين والألبسة، حيث كان لا بد من سد حاجيات العناصر الملتحقة حديثًا لأن الاستعداد كان متوفرًا من قبل لدى مختلف مناضلي القاعدة في حزب الشّعب الجزائري، التحق العديد من المناضلين ليصبحوا خلايا الفداء في الميدان في مدن قسنطينة، سكيكدة، عنابة، ميلة، جيجل، قالمة وسطيف وغيرها من المدن وبعد أقل من شهرين من الانطلاق صُعقت المنطقة الثانية باستشهاد أحد قادتها وهو الشاب "باجي مختار" في يوم 17 ديسمبر 1954م وذلك في دوار الرّقاقمة في شرق قالمة، ثم تلقت صدمةً أخرى باستشهاد قائد المنطقة ديدوش مراد[3] في جانفي 1955م، وذلك في دوار الصوادق في مكان يدعى واد بوكركر في السمندو[4].

ويمثل تاريخ العشرين من أوت مناسبة خالدة لدى سكان الجزائر عامّة وسكان الشرق الجزائري وسكيكدة بشكل خاص، وقد كان له دور كبيرٌ في استمرارية الثورة، اعتبرت فرنسا هذا العمل بأنّه هجوم من صنع عصابات وقُطاع طرق، وهوّ شأن فرنسي داخلي وتوعدت المجاهدين بأنها ستقضي على التّمرد في الأيام المقبلة، وقد قال "إيف كوريار (Yves Courier) في كتابه زمن الفهود عن اليوم: (... لقد بدأت حرب الجزائر الحقيقية وستسقط الأقنعة ومن الآن سيكون قبل العشريين أوت وما بعد العشريين أوت ...)، وقد أكدت المجاهدة عائشة ليتيم التي عاشت الأحداث في منطقة سكيكدة أنها لم تقع في كل ربوع الجزائر بشكل الذي اشتدت فيه بالمدينة الأخيرة[5] على وجه الخصوص، وأضافت بأنها من هندسة زيغود يوسف شخصيًا دون غيره[6].

وقد ركزنا على مركز انطلاقة الهجومات حيث شهدت سكيكدة بمختلف مناطقها وبلدياتها، قراها، وأريافها الشرارة الأولى لهجوم 20 أوت 1955م منها بلدية عزابة أحد أكبر دوائر سكيكدة حاليًا، وقبل بدأ العمليات كان زيغود يوسف قائد المنطقة الثانية قد قرر مغادرة منطقته والتوجه إلى غابة القل والبقاء بها مدة شهر وصرح أثناءها بأنّه سيوجه ضربة قوية لفرنسا لن تنساها، وطرح القضية على مساعديه من أجل تأطير الجماهير حيث استغرقت مدة الاستعدادات ثلاثة أشهر[7]،

وقبل 20 أوت بحوالي أسبوع كانت وحدات الكومندوس قد تمركزت في المواقع المحددة لها كما أعطى زيغود تعليماته بأن يتم توزيع الجنود والفدائيين والمسبلين ويتوجه كلٌ إلى الجهة التي يعرفها جيدًا ضمانًا لنجاح أكثر مع توفير المرشدين، وحُددت ساعة الصفر من منتصف يوم السبت 20 أوت 1955م لبدء العملية وتم الاتفاق على استهداف المواقع العسكرية من ثكنات ومراكز البوليس، الجندرمة، المؤسسات الاقتصادية ومعاقل الأوربيين، أسفرت أولى المواجهات عن تمركز خمسة مجاهدين قبالة ثكنة المظليين في سكيكدة وواجه أفرادها قوات العدو طيلة خمس ساعات والتي استعملت فيها الغازات والقنابل ليستشهدوا بعدها رغم أنّهم ألحقوا خسائر جسيمة بالثكنة[8].

وفي نواحي أخرى وبعد تحديد الأهداف المقصودة، توزيع المسؤوليات، وتوعية المجاهدين للجماهير، أعطى إمام مسجد بلدية صالح بوالشعور انطلاق عمليات الجهاد وقت الظّهر، وكانت مدينة عزابة إحدى تلك المناطق الشاهدة على معارك وهجومات 20 أوت، وهي إحدى البلديات المختلطة اقتصر الأمر فيها على إلقاء بعض القنابل في عدة أماكن، لكن عمليات الهجوم الكاسح والعنيف كانت بشكل مُكثف على مستوى بلدية جندل (لانو) حوالي 3 إلى 4 كلم عن عزابة، حيث هُوجمت قرى المعمرين، ومما زاد من شدة الهجوم انخراط النساء والفتيات في العملية منهم المجاهدة (خدوجة بوالنعمة).

تفطن الأوربيون واكتشفوا خطة الهجوم ولاذوا بالفرار حيث قُتل البعض في جندل وأُتلفت المحاصيل الزراعية وأُحرقت مخازن العلف والفلين وقُطعت أشجار الكروم والحمضيات للبعض الآخر، وانصب الرّصاص على مراكز العدو، كما أُغلقت الطرق المؤدية إلى عزابة وانحصر الهجوم على مراكز الشرطة والدرك دون المدنيين المدنيين، دام الهجوم في ناحية جندل وعزابة وما جاورهما حوالي ثمان ساعات (من 12:00 إلى 22:00 ليلًا) لم يتمكن العدو من فك الحصار عن المناطق التي كانت تحت سيطرة المجاهدين حتى وصلت النجدات والإمدادات العسكرية من عنابة بعد فشل قوات عزابة في اجتياز الحواجز في الطرق، ولم تتوقف

الهجمات في المناطق المذكورة لعدة أيام من خلال تنصيب الكمائن للعدو، قطع الأسلاك وأعمدة الهاتف[9].

معركة الجرف 22 إلى 26 سبتمبر 1955م:

تعد هذه المعركة من أشد المعارك في المنطقة وتاريخ الثورة التحريرية كلّها ففيها نصب أزيد من مائتي مجاهد كمينًا محكمًا لقافلة من الجيش الفرنسي متكونة من عدة سيارات مصّفحة وشاحنات، وتم القضاء على عدد كبير من الجنود الفرنسيين وأُحرقت بعض الشاحنات وطلب الجيش الفرنسي النجدة فوصلت قبل فرار المجاهدين فوجدوا أنفسهم مجبرين على خوض المعركة [10]. ولما علمت الإدارة الاستعمارية باجتماع وادي هلال [11] تحركت بأعداد ضخمة من العساكر المتمركزين بسوسة، خنشلة، باتنة، بسكرة، بمن فيها قوات اللّفيف الأجنبي والجنود المغاربة.

وبعدما أحست قيادة جبهة التحرير الوطني بتحركات العدو أمرت الجيش بالتحصن بجبل الجرف المعروف بوعورة مسالكه، ورغم ذلك استطاعت الجيوش الفرنسية محاصرة مواقع جيش التحرير واشتبك العدو مع دورية يقودها الشهيد محمد بن عجرو استمرت المعركة ثلاثة أيام، حاول فيها الثّوار فك الحصار في الليلة الأولى إلاّ أنهم فشلوا لكثافة نيران العدو ووجود طوق أول وثان وثالث، وفي الليلة الثالثة قررت القيادة فك الحصار وتم اجتياز الطوق الأول بنجاح واتجهوا نحو الجنوب حيث استشهد حوالي 45 إلى 70 مجاهد كما قُتل عدد كبير من قوات العدو[12].

2.3 معارك الشرق الجزائري:

تعد هجومات أكس بمنطقة الحمامات في 22 ماي 1955م من أبرز المعارك التي حققت فيها الثورة انتصارًا باهرًا على قوات الاستعمار الفرنسي في منطقة تبسة وما جاورها، جاءت بعد قيام أفراد جيش التحرير الوطني باستطلاع أول وثان من خلال تسلل المجاهدون للمنطقة وقطع الكهرباء بالمركز وإطلاق الرصاص على كل جندي يغادر المكان إضافة إلى وضع كمين في المنفذ وتم قتل

جميع الفارين منه، ثم اقتحمت وحدات المجاهدين غُرف المركز وساحاته وتم قصفها بالقنابل اليدوية وخلال تم القضاء على حوالي 45 جندي من قوات العدو، ليتم الانسحاب وأخذ الغنائم مما عجل بالاستعمار من الاستنجاد بالمراكز المجاورة من الشريعة وتبسة لكن تداركها كان متأخرًا[13].

المعارك في القاعدة الشرقية نواحي سوق أهراس:

دارت بالقاعدة الشرقية العديد من المعارك والاشتباكات منها كمين فج الحمص [14] في خريف 1955م الذي قادة المجاهد الطيب جبار مع مجموعة قليلة من الجنود حيث نصبوا كمين لشاحنة تنقل عساكر العدو مرفقة بسيارة إسعاف، واستطاع المجاهد ورفاقه أن يباغتوا الشاحنة وأسفرت المواجهة عن قتل العديد من ركابها وسط دهشة سلطات الاستعمار بعد الهزيمة [15].

معركة كاف العسة خريف 1956م جاءت عقب حملات التسليح التي قادها المجاهدون على الحدود التونسية حيث كانت قوات العدو تتربص بهم كلما تم نقل الأسلحة، وبعد أن كان المجاهدون يتفادون مواجهة العدو بشكل مباشر حوّلوا نظام مجابهتهم للعدو من نصب الكمائن إلى الاشتباك المباشر وهو ما يطلق عليه المعارك الخاطفة انتهت بانتصار المجاهدين (الطيب جبار، جبار علاوة، محمد حاجي) وغيرهم في معركة كاف العسة [16].

ثم تلتها معركة فريحة بمنطقة سوق أهراس جانفي 1957م حيث وقعت في المكان المسمى فريحة الخالي من السكان بعد طردهم من قبل المستعمر وورد خبر بأن عساكر العدو قادمة من عين سنور والمشروحة (ولاية سوق أهراس حاليا)، متجهة نحو المجاهدين جنوباً فأمر الطيب جبار بالاستعداد للمعركة ثمّ اندلعت بإطلاق النّار بشدة ممّا أجبر قوات العدو على التراجع ليتم قصف المكان عبر الطائرات من قبل الجيش الفرنسي الذي أدى بالمجاهدين للانسحاب من المعركة و التي انتهت لصالحهم.[17]

أما منطقة ميلة فقد جرت بها معارك عديدة منها معركة وادي البعوض بدوار آرّاس 18 فيفري 1957م، حيث فاجأت وحدات الاستعمار الفرنسي

المجاهدين بالمنطقة بقوات هائلة مدّعمة بالطائرات من مختلف الأحجام والأنواع منها الطائرات المعروفة بالصفراء (الطيارة الصفراء)، والتي شرعت في إنزال الجنود بكل المرتفعات المحيطة بالوادي، مما أدى بالمجاهدين للخروج من مخادعهم إلى الغابة التي تحيط بالمنطقة المحاصرة، وبدأ تبادل إطلاق النار بين المجاهدين وقوات العدو واشتدت المجابهة مع منتصف النّهار، فكانت المجابهة قوية صمد فيها المجاهدون صمودًا مستميتًا، مما اضطر بالعدو للاستعانة بطائرات (B26) بقذف قنابلها الضخمة التي أحدثت فجوات كبيرة بالأرض وبعد الاشتباكات وتبادل إطلاق الرصاص استطاع بعض المجاهدون أن يفلتوا من الحصار والاتجاه إلى مركز الثورة بالغابة[18].

معركة جبال الحلفاء أفريل 1957م تُعتبر هي الأخرى من أهم المعارك الكبرى بالمنطقة[19]، حيث وقعت وسط جبال الحلفاء في أعالي بلدية لعياضي بدائرة عين البيضاء بولاية ميلة، التي كانت تمتاز بموقع إستراتيجي لقربها من الولايتين التاريخيتين الأولى والثانية (الأوراس والقبائل)، كما كانت معبرًا لقوافل جيش التحرير الوطني من تونس وإليها، ولهذا السبب كانت أعين السلطات العسكرية الفرنسية دائمًا مسلطةً عليها، فحاولت تمشيطها مما أدى بالمجاهدين للاختباء بجبال الحلفاء، وعندها انطلقت قوافل الشاحنات من ميلة، العلمة، شلغوم العيد وفج مزالة وغيرها، وعلت سماء الجبال بالطائرات، بدأت المعركة صباحًا بالناحية الغربية، اشتبك فيها المجاهدون مع قوات العدو.

أما الجبهة الشرقية فقد بدأت بمناوشات متفرقة بين المسبلين وفرقة بوطالب العائدة بالسلاح والذخيرة من تونس لتبدأ المعركة بكل الجبال، فشل العدو في الوصول إلى مخابئ المجاهدين فاستعان بالطائرات التي أخطأت في هدفها وأصابت قواتها أحيانًا، مما مكن المجاهدين من الخروج بنصر كبير وتوجهوا إلى المداشر المجاورة[20] في ضربة موجعة لفرنسا رغم عدد قواتها الكبير.

المعارك في نواحي وأرجاء الشّمال القسنطيني:

معركة جبل سيدي سليمان خريف 1957م وقعت هذه المعركة في المنطقة الشّرقية لولاية سكيكدة، تُعتبر الأعنف في الناحية خاصة لنزول قوات الحلف الأطلسي، اندلعت صباحًا بالمنطقة التي كان يرابط بها المجاهدون والنّساء[21] حيث كان الجيش الجزائري قد توعد نظيره الفرنسي فيها، بدأ الإنزال في السّهل الفاصل بين عنابة وسكيكدة، وشاركت في المعركة الطاحنة قوات فرنسية استقدمت من قالمة، عنابة وسكيكدة دامت من الرابعة صباحًا حتى منتصف اللّيل[22].

معارك مخطط شال:

أول هذه المعارك هي النهاية المأسوية لكومندوس حيدوش في شهر جوان 1959م، حيث اتخذت قيادة أركان الشرق قرارًا يقضي بدخول بعض وحدات الولاية الثانية والثالثة بعد تلقيها للتدريب في الحدود، وهكذا غادرت الفرقة (كومندوس حيدوش) مركز الزيتون وبعد رحلة عبر عديد المناطق مرت خلالها على خط موريس ثم وادي سيبوس بعنابة ثم جبل إيدوغ، كل المؤشرات كانت تدل على نجاح العملية، وحدتان عسكريتان قوامهما 130 جندي، جيدة التدريب وقادة عسكريين لهم تجربة طويلة في محاربة العدو ويعرفون المنطقة جيدًا ومرشدون من ذات الولاية، نجح قادة الكومندوس [23] في مراقبة الكتيبتين وعبور الخط لكن الفرقة فشلت في اجتياز الواد فتم محاصرتها واستقدم العدو تعزيزات عسكرية من عنابة والملاح فوقع اشتباك ضد قوات العدو دام يومًا كاملًا واستعمل المجاهدون رشاشات (MG الألمانية) التي كانت بحوزتهم وبسببها أُضطر العدو إلى استعمال النبالم والدبابات وشاهد سكان ضواحي عنابة طائرات (T6) تقصف المنطقة من علو منخفض مستهدفين المجاهدين وشَهدت المعركة أيضًا وجود فوج من الصحافيين الإنجليز صادف وجوده المعركة وكتب حولها فيما بعد، أُستشهد أغلب جنود الكومندوس ولم ينجو منهم إلاّ ثلاثة أو أربعة واليوم يوضع نصب تذكاري فوق القبر الجماعي تخليداً لأرواحهم[24].

كما تعد معركة عين الزانة الشهيرة في جويلية 1959 واحدة من أهم المعارك في منطقة الشرق الجزائري، تزامنت مع تاريخ 14 جويلية 1959م تاريخ احتفال الفرنسيين بعيد النصر للأمة الفرنسية وفي غمرة الاحتفال بالحدث شنّ

المجاهدون هجومًا عنيفًا على مركز عين الزانة الذي لا يقل أهميةً عن المراكز الأخرى مثل: بوخندق، المشري الزيتونة ...الخ، بعد أن وقع عليه الإجماع من قبل قادة جيش التحرير الوطني لمهاجمته، وهو مركز يقع بالقرب من الحدود التونسية، شارك في المعركة مجموعات فيالق منها: العقيد سي ناصر قائد أركان جيش التحرير بالشرق، عبد الرحمن بن سالم، الأخضر الورتي، عبد المالك قنايزية، سليمان عثمان، محمد علاق، عبد القادر شابو، كانوا صانعي ملحمة عين الزّانة التي كان فيها النّصر حليف ثوار جيش التحرير من خلال أسلوب الاستطلاع المخابراتي.

وقبل نشوب المعركة كان محمد علاق قد طلب من المجاهد غمراني رمضان بأن يتم الافتراق والانقسام إلى مجموعتين وتم اختيار تسعة مجاهدين كان هذا الأخير على رأسهم، حيث قاموا باستكشاف المركز لتلتحق بهم مجموعة الطيب بن الشيخ، كُلفت الوحدات باقتحام المركز من الناحية السّفلى وهو ما مكن المجاهدين من أسر ثلاثة خونة وقتل فرنسي، كما أتاح الهجوم للمجاهدين قتل عدد من الجنود الفرنسيين، والحصول على بعض الغنائم ودمروا المركز وأحرقوا السّيارات والشاحنات، وقد سرد المجاهد غمراني تفاصيل هذه المعركة في شهاداته باعتباره من أواخر المجاهدين الذين شهدوا المعركة وكيف أن العدو تكبد خسائر فادحة واعترف بشراستها شخصيًا (موريس فايفر)[25] .

عملية شال نوفمبر 1959م:

وقعت في ظروف مناخية مطرة حيث وردت بعض الأخبار من الحراس تفيد قدوم شاحنات العدو إلى منطقة آرّاس باينان وعندها أعطيت الأوامر لفرق جيش التحرير الوطني بالحذر خاصةً مع تفادي الجيش الفرنسي الدخول في اشتباك مع جيش التحرير عندها أدرك المجاهدون أن تمركزه سيطول وهوّ يحضر لعملية طويلة، فتم الاستعداد من خلال جمع الأسلحة الثقيلة (مدافع الهاون، البازوكا، رشاش 30، رشاش 24)، ثمّ تم تفكيك فرق جيش التحرير إلى وحدات صغيرة ليسهل عليها التنقل والاختفاء مرت أسابيع ليبدأ العدو هجماته ليلًا، نهاراً مع جيش التحرير من أجل

احتواء الثورة وتصفيتها فقد استمات المجاهدون طويلًا وألحقوا بالعدو خسائر الفادحة، كما أننا لا نخفي أيضًا ما لحق بالثورة من خسائر على مستوى أفراد جيش التحرير والشعب الجزائري بين المستشهد والموقوف وكذا الخراب والدمار الذي لحق بمنازل الأهالي وحرق المشاتي والجرائم الفظيعة، كما انتقمت فرنسا من خلال إقامة المحتشدات لتكديس وعزل الأهالي عن الثورة[26].

العمليات الفدائية على الحدود الشرقية:

يروي الشاذلي بن جديد عن أبرز العمليات العسكرية التي شهدها والتي شهدت بطولات رفاقه واستشهادهم في سبيل الوطن المعركة التي توفي فيها كل من حداد عبد النور ويزيد بن يزار وذلك أثناء عبورهما خط شال وموريس والتحاقهم بالولاية الثّانية على رأس 40 مجاهد بعد محاولات فاشلة في مناطق أخرى وفي طريق الفرقة وبعد تخطيهما للأسلاك الشّائكة المكهربة المشحونة بـ 5000 فولط، و لتجنب نيران الرّشاشات المنصوبة أمر حداد عبد النّور جنوده بالالتحاق بالغابة القريبة، فوقع اشتباك ودخل الجند في حقل الألغام فشلت المحاولات وقُتل أكثر من 10 جنود وجُرح عدد منهم، وفي تلك المعركة اُستشهد حداد عبد النور رفيق درب المناضل الشاذلي في الكفاح المسلح[27].

تبعتها معركة سيدي طرد [28] التي وقعت في منطقة جغرافية تتميز بوعورتها الشديدة وكهوفها المنيعة لم تتمكن فرنسا من الوصول إليها رغم محاولاتها عديدة، وحتى طائراتها كانت تتفادى التحليق فوق هذه المرتفعات تفاديًا لمدفعية المجاهدين المنصوبة فوق القمم ونجح المجاهدون في إحدى المرات من إسقاط طائرة من نوع (T28)، عند مدخل المنطقة واضطر العدو بعد العملية إلى تدمير الكهوف بقنبلتها بواسطة طائرات (B26)، وقبل الانتهاء من بناء خط شال تحولت هذه المنطقة الحدودية إلى مسرح للكمائن تنصبها الكتائب لمنع العدو من احتلال مواقعنا والوصول إلى الشريط الحدودي[29] .

معارك فترة أواخر الثورة 1960 – 1961م:

شمل النّشاط العسكري خلال هذه الفترة اشتداد العمل الفدائي، الكمائن، الاشتباكات والهجومات وأعمال التخريب لمرافق العدو واقتصاده وهو ما ذكره عديد المجاهدون عند كتابة مذكراتهم ففي منطقة الشمال القسنطيني وحدها خلال الفترة تم لإحصاء 220 عملية أي بمعدل 8 عمليات في الشهر وهو ما عبر عنه المجاهد لخضر بوالطمين وأضاف أنه ذكر ذلك إحصاءً فقط لا مدعاة للفخر والإدعاء [30].

وفي أحد تنقلات المجاهدين من المركز الحدودي في تاجروين بتونس إلى شمال الونزة بجبال بني صالح فنواحي مداوروش بنواحي سدراتة وخلال الطريق تعرضوا بسفوح إحدى الجبال لقنابل طائرات العدو لأوّل مرة ولحسن الحظ لم يستمر القصف مطولًا نظرًا لهطول الأمطار فلم يصب أي فرد من أفراد البعثة ثم اتجهوا إلى وادي الشارف بالقرب وادي الزناتي ثم عزابة، سكيكدة وبعدها شبه جزيرة القل حتى تم الوصول إلى مركز قيادة الولاية الثّانية[31].

4.خاتمة:

نستنتج من خلال ما سبق العديد من النقاط المهمّة نوردها كمايلي:

- تعتبر المذكرات الشخصية من المصادر الأساسية لكتابة تاريخ الجزائر المعاصر عامّة وتاريخ الثورة بشكل خاص.
- يُعتبر الرجال العسكريون أكثر من دون مذكراتهم الشخصية حاملةً شهادتهم، مواقفهم وآراءهم.
- عرفت منطقة الشرق الجزائري عديد المعارك أبرزها انطلاقة الثورة وهجومات الشمال القسنطيني أرّخ لها وبالشهادة العديد من القادة العسكريين.
- تعتبر مذكرات العسكريين على اختلاف رتبهم ومناطق نشاطهم مصدرًا أساسيًا وأوليًا للتأريخ للمعارك لما تحمله من تفاصيل حول مجرياتها، ونتائجها وأبعاد عسكرية متنوعة.

وكتوصية مهمة نلفت الانتباه أن هناك العديد من المذكرات تحتاج للدراسة والاهتمام خاصة كتابات الفاعلين والمغمورين من العسكريين في منطقة الشرق

الجزائري وغيرها، ونظرًا لما تمتاز به المذكرات الشخصية عامة ومذكرات العسكريين خاصة بالشخصانية والذاتية تبقى تحتاج لدراسة نقدية واستعمال منهج علمي دقيق.

5. **الهوامش والإحالات:**

[1]– عائشة ليتيم مجاهدة تنحدر من ولاية سكيكدة لا تزال على قيد الحياة تقطن بيم العاصمة وسكيكدة مسقط رأسها عاشت العديد من أحداث الثورة في منطقتها خاصة هجومات الشّمال القسنطيني.

[2]– عائشة ليتيم، أيام من مأساة شعب، مشاهد مرعبة من جرائم فرنسا بالجزائر، دار الهومة، بوزريعة، الجزائر، 2014م، ص99.

[3]– خلفه زيغود يوسف.

[4]– علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السّياسي إلى القائد العسكري (1946 – 1962م)، دار القصبة، الجزائر، 1999م، ص71– 72–73.

[5]– سكيكدة وحدها كان بها 1400 مناضل من حزب الشّعب.

[6]– عائشة ليتيم، المصدر السابق، ص123– 124– 125– 126.

[7]– عائشة ليتيم، نفسه، ص126.

[8]– علي كافي، المصدر السّابق، ص83– 84– 85.

[9]– عائشة ليتيم، المصدر السابق، ص127– 128– 129– 130.

[10]– زهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية، دحلب، الجزائر، 2012م.

[11]– اجتماع حضره قادة أوراس نمامشة وهم شيهاني البشير، عاجل عجول، عباس لغرور، سيدي حني.

[12]– عمار جرمان، الحقيقة، مذكرات عن ثورة التحرير الوطني وما بعد الإستقلال، دار الهدى، الجزائر، 2007م، ص38– 39.

[13]– عثمان سعدي، مذكرات عثمان سعدي بن الحاج، الطبعة الأولى، شركة دار الأمة، الجزائر، 2000م، ص25– 26– 27– 28– 29.

[14]– فج الحمص: مكان تحيط به غابة كثيفة يوجد في منتصف الطريق بين المشروحة وعين سينور وهو الآن يقع على الطريق الرابط بين عنابة ووادي سوف.

[15]– صالح بن النبيلي فركوس وجبار جبار، الطّيب جبّار(القاعدة الشّرقية التاريخية)، الطبعة الأولى، دار بهاء الدين، قسنطينة، الجزائر، 2017م، ص105– 106.

[16]– صالح بن النبيلي فركوس وجبار جبار، المصدر نفسه، ص105– 106.

[17]– نفسه، ص109– 110.

[18]– إبراهيم رأس العين، مذكرات المجاهد، الطبعة الثانية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م، ص69.

[19]– كتب عنها المجاهد مقال نشره الأستاذ الصّادق مزهود في مُؤلف هياكل العدو الفرنسي بولاية ميلة.

20– إبراهيم رأس العين، المصدر السّابق، ص70– 71– 72– 73– 74.

21– إصابة المجاهدين بالتسمم الغذائي كان من بينهم علي كافي وقد ذكر ذلك في مذكراته.

[22]– عائشة ليتيم، المصدر السّابق، ص213، ص216– 217.

[23]– كانت الفرقة العسكرية تضم عدة أسماء في مقدمتهم: أحمد ترخوش، الفاضل بوترفة، أحمد ترخوش.

[24]– الشاذلي بن جديد، مذكرات ملامح الحياة، الجزء الأول، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011، ص137– 138– 139.

[25]– اليزيد سلطان، حقائق أخرى عن القاعدة الشرقية مع المجاهد غمراني رمضان، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2017، ص49– 50.

[26]– إبراهيم رأس العين، المصدر السّابق، ص62– 63.

[27]– الشاذلي بن جديد، المصدر السابق، ص164.

[28]– وهي منطقة الوالي سيدي طرد، بأقصى نقطة في الشّريط الحدودي ببلدية الزيتونة .

[29]– الشاذلي بن جديد، المصدر السابق، ص165.

[30]– الجودي لخضر بوالطمين، مذكرات مجاهد من بغداد إلى الجزائر، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، 2007م، ص217– 218.

[31]– الجودي لخضر بوالطمين، المصدر نفسه، ص56.